

مارى - روز جومى سوكهو كوناتيه

الأمير بادورو

قصص أفريقية

من 9 : 14 سنة

ترجمة
ابتهال سالم

1941

المشروع القومى للترجمة

الأمير بادورو
قصص أفريقية

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة عالم الطفل
المشرف على السلسلة: يعقوب الشارونى

- العدد: 1941
- الأمير بادورو
- مارى- رزو جومى سوكهو كوناتيه
- ابتهال سالم
- الطبعة الأولى 2011

هذه ترجمة:

Le Prince Badourou
Par: Marie-Rose Gomis Soukho Konaté

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ -٢٧٣٥٤٥٢٤ ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

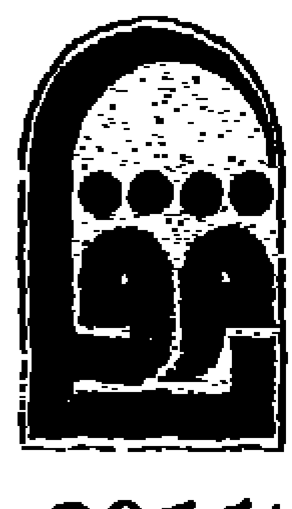
الأميـــر بـــادورو
قصـص أفـريقيـة

تـأليـف

ماري- روز جومي سوكهو كوناتيه

ترجمة

ابتـــهال ســـالم



2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كوناتيه، مارى - روز جومى سوكهو

الأمير بادورو: قصص أفريقية/ تأليف: مارى - روزجومى سوكهو كوناتيه، ترجمة: ابتهال سالم.

ط١- القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١

٥٢ ص، ٢٠سم

١- القصص الأفريقية

٢- قصص الأطفال

(أ) سالم، ابتهال (مترجم)

(ب) العنوان ٨٩٦,٣

رقم الإيداع ٥٤٤٧ / ٢٠١١

الترقيم الدولى: I.S.B.N -978-977-704-519-3

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

إهداء:

أهدى هذا العمل إلى أمى التى سحرت طفولتى بحكاياتها الجميلة...

إلى زوجى الذى دعمنى فى جميع مبادراتى...

إلى أطفالى الذين أعشقهم.

شكر:

أشكر جميع الشخصيات الذين شجعونى، مــن قريــب أو بعيد، على الكتابة.

أذكر منهم:

السيد "أبولاى إليمان كان"، وزير الثقافة فى السنغال.

"ليوبولد جابرال"، مدير الأبرشية الكاثوليكية للتعليم الحر.

– وأذكر بشكل خاص "شيمان جلبير" التى بذلت كل ما فــى وسعها لكى ترى تلك المجموعة النور.

المؤلفة

ماری – روز سوكهو

تقديم

إيمانًا بتبادل الثقافات بين الشعوب، أقدم هذه النصوص الأفريقية للمؤلفة السنغالية "ماری – روز سوكهو"، والمأخوذة من روح الأساطير الشعبية الأفريقية.

وماری روز سوكهو تتميز بأسلوب سهل وجميل يصل إلى الأطفال ببساطة، وتهتم بالقيم التربوية القائمة على الصراع بين الخير والشر، ويتضح ذلك فى قصة الأمير بادورو، التى تنتهى بانتصار الخير على الشر، وكذلك فى قصة جامبا سيرا، المليئة بمفردات الأساطير ذات الدلالات القوية على انتصار الخير.

هذه المجموعة مليئة بالإشارات الدالة على الثقافات الشعبية لبعض الشعوب الأفريقية، والتى تساعد الطفل على معرفة بعض المعلومات عن هذه الثقافات، والإحساس بالمعانى المنعكسة فى أحداث القصص، مما يمنحه فكرة عن روح هذه الأساطير المنغرسة فى التربة السوداء لقارتنا.

كما يتجلى فى هذه المجموعة تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأفريقيا على اللغة المتفردة لثقافة القارة

السوداء، والتى يظهر أثرها بين سطور القصص المروية وفى العديد من الكلمات الدالة على هذه الثقافة. ورغم اللغة الفرنسية التى كتبـت بها هذه النصوص، إلا أننا نتمكن من الإحساس بنكهة أفريقية متميزة برعت فى تقديمها لنا الكاتبة الـسنغالية الرائعـة، "مـارى - روز سوكهو".

المترجمة

ابتـهال سـالم



الأمير بادورو

١ـ الزواج

فى قرية بعيدة عن "خاسو"(*)، عاش ملك محاطًا بحب رعاياه، لكن للأسف، توفى فجأة مصابًا بمرض غامض.

واعتلى العرش من بعده، ابنه البالغ من العمر ستة عشر عامًا، وكسب ود الشعب استنادًا إلى سيرة أبيه الطيبة واحترامه، مما سهل عليه مهمته باعتباره ملكًا بعد موت أبيه، وتوفرت له الفرصة أيضًا للزواج من أجمل بنات القرية. ونجح بعد مشاورات مع جلساء الملك فى اختيار اثنتين من أجمل البنات.

الأولى اسمها " كوراندى" وكانت على جانب كبير من الجمال، والثانية اسمها " داوندى" و كانت رائعة، لكن حسنها كان محدودًا بالمقارنة بجمال " كوراندى".

اتخذ الأمير الشاب قراره بالزواج من البنتين فى نفس اليوم ودامت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها، ونحرت مئات الأبقار وذبحت الخراف من أجل المدعوين، ودقت الطبول وتبارى الشعراء السحرة فى تقديم عروضهم، وذكرتهم تلك الليالى بالاحتفالات التى كانت تقام دومًا فى خاسو، ومع ذلك لم تشهد البلاد احتفالات مثلها فى المنطقة.

(*) مملكة قديمة جدًا، كانت موجودة فى غرب أفريقيا من القرن ١٧-١٨، واحتلتها فرنسا ثم اندمجت فى السودان الفرنسى [المترجمة].

مضى عام...وحملت زوجتا الملك فى نفس التوقيت. وحين عرف الملك الشاب، وعد بأن يهب نصف أملاكه لتلك التى تهبه الوريث، ولكنه تمنى سرًّا أن تهبه الجميلة "كوراندى" التى يفضلها، ذلك الوريث.

أما بالنسبة للزوجتين الملكتين، فقد كان الانتظار عندهما طويلاً جدًّا.

تُرى....من ستهب الملك الوريث؟ الجميلة الفاتنة "كوراندى"؟ أو الحسناء " داوندى" ؟

٢ـ الولادة

سيطر انفعال كبير على القصر فى انتظار الميلاد....

أما الملكتان...فقد لجأت كل واحدة من جانبها، إلى كبار السحرة والكهنة فى خاسو لأخذ المشورة، حتى تتمكن من توجيه القدر لصالحها ويأتى الميلاد على هواها. وضحت الزوجتان فى سبيل ذلك بتضحيات عديدة، وقدمتا الكباش الكثيرة للحصول على مقصدهما.

أما السيدات المهيبات المكلفات بعملية الولادة، فقد لاحظن ميل الملك الشاب لامرأته الجميلة"كوراندى"ورغبته فى أن تهبه الوريث المنتظر...لذا فقد تشاورن فيما بينهن بخصوص هذا الأمر وكانت لهن آراء مختلفة.

قالت المسنة "تيمى"وهى تحك رأسها:

- ما العمل...إذا وضعت "داوندى" الولد وجــاءت "كورانــدى" بالبنت؟

ردت "فونيه" الأصغر سنًا فى المجموعة:

- سوف تكون تلك إرادة الله، ولابد للملك أن يخضع للمشيئة.

- إنكِ ما زلت صغيرة بعد يا فونيــه ولا تعلمــين أن الواجــب وليس القدر، هو الذى يلزمنى بترضية مليكنا وتلبية أمنياتــه الأكثر سرية.

ردت فونيه:

- إننى أعرف واجبى، ولكن فى تقديرى، أقول...ماذا نفعل ضد إرادة الرب؟

ردت كبيرة السيدات المهيبات "ديوند كوندا" فى هدوء:

- من السهل تعديلها...

اتجهت النظرات نحوها، بينما ظلت الكبيرة تغمغم بهدوء تحت شجرة الكولا كما لو لم يكن شىء قد حدث، و تفكر بكل ثقة ووضوح فى كيفية إضفاء بعض الفرح بين السيدات المهيبات لترفع عنهن حالة السأم التى أصابتهن.

مرت لحظة وكأنها الدهر.... وإذا بالمهيبة "ديوكوندا" تعلن بـأعلى صوتها، موجهة ضربة مفاجئة للجميع:

- نعم... أنا أقول... إنه من الممكن تعديل القـدر، ويجـب أن يكون الوريث من المرأة التى يفضلها الملك.

تساءلت " فونيه":

- أيمكننا فعل ذلك؟ كيف؟

ردت " ديوكندا":

- الملك يتمنى وريثًا من كوراندى التى يفضلها، فإذا وضـعت داوندى الولد وجاءت كوراندى بالبنت، يمكننا تبديل الأطفال، نضع الولد بجوار كوراندى وكأنها هى التى أنجبته.

قالت " فونيه":

- وإذا اكتشف هذا الأمر فى يوم ما؟

ردت " ديوكندا":

- ومن ذا الذى سيكشفه؟ من منا تجرؤ على إظهار ذلك السر؟



تشاورت السيدات المهيبات فى قلق، وحُسِمَ التردد لصالح كبيرتهن " ديوكندا" بعد أن قالت لهن هذه الكلمات:

- إذا كنتن تحببن مليككن، فلابد من تنفيذ مشيئته فى أن يكون له وريث من المرأة التى يفضلها، والفرصة آتية لنا اليوم لإثبات هذا الحب.

امتثلت جميع المهيبات لكلام " ديوكندا"، وأقسمن بشرفهن على تطبيق هذا الاقتراح بتبديل الأطفال وعلى أن يعتبرنه سرًّا مطلقًا بينهن.

وجاء اليوم المحدد للميلاد وحدث المخاض للمرأتين فى نفس التوقيت.

دأبت السيدات المهيبات للبلاط الملكى على تنفيذ عملية الولادة وعيونهن محدقات، مترقبات.

وهبت الجميلة " كوراندى" العالم بنتًا جميلة، وبعدها بلحظات وضعت داوندى طفلاً ذكرًا.

بَدَّلت السيدات المهيبات الطفلين، وضعن الولد بجوار الزوجة " كوراندى" المفضلة للملك، ووضعن البنت بجوار الزوجة الأخرى " داوندى".

حين وصل الخبر إلى الملك، أمر بدق الطبول إعلانًا عن الحدث السعيد لجميع رعاياه، وأقيمت الأفراح يومًا بعد يوم وعلى مدار شهر كامل، ذُبحت الثيران قربانًا للميلاد الجديد الذى أضحى كالبشارة فى كل أنحاء خاسو.

أوفَى الملك بوعده، ووهب نصف أملاكه للزوجة التى جلبت له الوريث، وأضحت " كوراندى" الملكة المحبوبة والمفضلة لديه دائما، وزادت محبتها بعد أن أصبحت أم الوريث ولى العهد.

أما " داوندى" .... فقد بدأت عاطفة الملك الشاب نحوها تخفت تدريجيًا وأهملها وتخلى عنها بعد ولادتها.

عانت " داوندى" وذبلت بعد تلك المعاملة القاسية، فالمرأة التى لم تنجب لمليكها الذكر، لم تعد محبوبته ولم يعد لوجودها أية أهمية بالنسبة له.

لم يعد الملك يرغب فى رؤيتها، وبعث بها إلى الإسطبل لتعيش فيه مع ابنتها، تلك الابنة التى ماتت بعد وقت قليل من ولادتها، وتناثرت الألسنة بأقاويل شريرة عن جنون المرأة.

٣ـ الأمير بادورو

شهد القصر الملكى نمو ولى العهد الملقب باسم الأمير"بادورو"، وأصبح الأمير شبيهًا بأبيه، وأخذ أيضًا صفات من أمه.

وحين كانت السيدات المهيبات المتآمرات يرينه وهو يلعب فى فناء القصر، يرتبكن خفية، بسبب التشابه الواضح بينه وبين أمه.

وكان أبوه الملك يذبح له أفضل الثيران كل يوم، ولا يبخل بأى ثمن أو جهد من أجل أن يصبح ابنه الأمير قويًا وقادرًا.

وأدهش الأمير بادورو الجميع بذكائه وشجاعته، فمنذ أن كان عمره عشر سنوات وهو يمتطى الحصان كفارس ويذهب إلى الصيد ولا يعود أبدًا خائبًا أو خالى الوفاض.

وذات مساء، أثناء جولاته جاء بفهد صغير مجازفًا بحياته.

وحين علم أبوه بالأمر من الشاعر الساحر المرافق لابنه، أصابه الخوف على وريثه، وأمر بحبسه داخل غرفته لمدة عشرة أيام على الأقل، لايخرج منها ولا يعمل أو ينشغل بشىء.

وفى ليلة من الليالى... والأمير ساهر فى فراشه، سمع أصواتًا نسائية تثرثر تحت شرفته...فنهض من فراشه، منصتًا لتلك الأصوات.

وإذا بصوت يقول:

- لقد أسهمنا فى جعل مليكنا سعيدًا، باعتقاده أن " كوراندى" هى التى وهبته الوريث.

ورد صوت آخر:

- الأهم....أن السر لم يعرف أبدا.

وارتفع صوت آخر:

- ومن ناحية أخرى، ستظل تلك المرأة المحتجزة بالإسطبل، معتقدة بعودة الروح إلى ابنتها ولقائها.

ألقى الأمير نظرة من نافذته، فرأى السيدات المهيبات مجتمعات فى فناء القصر.

حاول النوم بعد تلك الثرثرة، لكنه لم يتمكن من ذلك، فـنهض مرة أخرى قلقًا، وتوجه وحده إلى الإسطبل، عبر بوابته واختبأ فـى ركن ما.

لمح امرأة مكومة فى ثوبها، يدها على ذقنها...

ألقى عود خشب فى اتجاهها ليجبرها على رفع وجهها. وبعـد أن رآها جيدًا، عاد إلى حجرته فى القصر.

نظر إلى المرآة محدثًا نفسه:

– إننى أشبهها حقا، هذه المرأة لابد أن تكون أمى، لاشـك فـى ذلك.

أخرج الأمير بادورو الشاعر المرافق له خارج حجرته، ونـام تلك الليلة وحده مع سره.

٤- لقاءات جديدة

اتجه الأمير الصغير فى الصباح الباكر، بعد أن أخـذ حمامـه إلى الصالة الكبيرة التى يتناول فيها وجبته. رفـع صـحنه المملـوء باللحم بين يديه وحرص ألا يراه أحد، ثم ذهب إلى الإسطبل.

اقترب الأمير الصغير من أمه، محدثًا إياها:

– أمى...أمى...احكى لى حكاية.

انتفضت المرأة المسكينة، أمعنت النظر فى وجه الولد صائحة فى قلق:

– لماذا تنادينى هكذا؟ أنا لست أمك، إننى لا أتذكر حكاية مثيرة بشأن ذلك الأمر.

قال الأمير:

– على أية حال... أنا أعرف حكاية وأحب أن أرويها لكِ:

"منذ عشر سنوات، بَدلت سيدات القصر المسنات المهيبات الولد بالبنت، وضعن الولد لأم البنت، ووضعن البنت لأم الولد".

انتفضت المرأة المسكينة "داوندى"، حين حكى الأمير تلك الحكاية، ووجهت نحوه نظرة شك.

أضاف الأمير:

– صدقينى...إنها حكاية حقيقية.

حاولت المرأة المسكينة تذكر الأحداث والظروف وتفاصيل ولادتها، كل شىء أصبح مختلطًا فى رأسها، تذكرت فقط إنها حين استيقظت، وضعوا بجانبها بنتًا صغيرة، وبعد ذلك لم يهتم بها أحد.



رفعت رأسها متأملة الأمير بادورو طويلاً، ثم قالت له:

- اقترب... تعال... اجلس على حجرى، إننى أرغب حقًا فـــى هذا..

ابتسم الأمير:

- لكن يجب أن توافقى أولاً على تقاسم هذه الوجبة معى.

جلسا قرب بعضهما وأكلا فرحين.

كل يوم يتكرر نفس المشهد، بعيدًا عن الأعين المترقبة ويتقاسمان الطعام معًا. وبدأت المسكينة " داوندى" تستعيد عافيتها وقوتها.

٥ـ الاكتشاف

ذات صباح...بينما كان رئيس الحرس يتباحث مع الملك فـــى شئون البلاد... ألقى إليه بمفاجأة:

- " سيدى .... لقد عرفت للتو... موضوع عجيب يحدث فى إسطبلاتك، إنه أمر خطير يا مولاى، مما جعلنى أفــضل أن يحـــدثك عنه نديمك الساحر، فغدًا... حين تتوسط الشمس السماء، ابعث إلـــى "ديالكيه"، نديمك وشاعرك الساحر، وسوف يفسر لك أفضل منى مـــا يحدث داخل إسطبلاتك".

وبالفعل.... صاح الملك لنديمه الساحر:

– فلتذهب غدا إلى الإسطبلات وتأتينى بكل ما يحدث هناك.

اتجه نديم الملك/الشاعر الساحر إلى الإسطبلات فى التوقيت الذى أقره الملك....وقف يتلصص ورأى المشهد كاملاً بين الأمير وأمه حتى رحل الأمير عن الإسطبل.

وفى اليوم التالى... ذهب مبكرًا ومباشرة إلى سيده الملك.

قال:

– أتسمح لى يا مولاى بالتحدث بحرية؟

رد الملك:

– لا تخف....تكلم، لن يحدث لك شيء.

– إذن.... سوف أقول... إننى رأيت الأمير و" داوندى" معا والأمير يناديها بأمي، ورغم أنى لم أسمع جيدًا كل ما قيل، إلا أننى التقطت من الحديث الدائر بينهما كلامًا عن التبديل، وبعد أن تناولا وجبتهما، سمعت الأمير يقول لها:

– إلى اللقاء غدًا.... وبما أننا التقينا فلن يفرقنا أحد.

سأله الملك عن بعض التفاصيل، ثم أذن له بالرحيل. ونادى على الأمير الصغير ليسأله:

– ما الذى تبحث عنه كل صباح فى الإسطبل؟وهل هذا مكان يليق بأمير؟

رد الأمير بثقة:

- إننى أزور أمى..

- أمك؟هل أصبحت مجنونًا؟

- لا يا أبى...لست مجنونًا، فلتسأل السيدات الأمهات المهيبات عن الأمر!

سكت لحظة.... مترقبًا رد فعل أبيه، ثم قال:

- هل تأذن لى يا أبى بالانصراف الآن؟

وانصرف الأمير، تاركًا القصر والملك فى حالة حيرة كبيرة.

٦ـ الاعتراف

كان الوقت عصرًا....حين أمر الملك بدق الطبول واستدعاء جميع رعاياه.

وقبل بدء الكلام بلحظة، اكتشف غياب " داوندى"، فطلب من أحد عبيده البحث عنها والإتيان بها.

قالت " داوندى" لرسول الملك:

- يا ليت الملك يأذن لى بعدم المثول أمام عظمته بهذه الثياب البالية.

صاح الملك:

- فلتحضروا لها أفضل الثياب حتى لا نضطر لانتظارها.

وبعث برسوله إليها مرة أخرى.

انزعجت الجميلة " كوراندى" الجالسة بجوار الملك من موقفه، وبدت نظراتها قلقة.

صاحت " كوراندى":

- هذه الخرقة الآدمية، لن ترتدى ملابسنا الملكية، وإذا حدث ولمستها لن أرتديها مرة أخرى!

رد الملك:

- افعلى ما يحلو لكِ، لابد أن ينفذ أمرى.

وانتهت المناقشة بحضور" داوندى" بصحبة رسول الملك.

مفزوعة بجموع الناس حولها، تقدمت " داوندى" مترددة من الملك، الذى أمر أحد عبيده بأن يحضر لها مقعدًا.

وبعد أن جلست داوندى، طالب الملك الناس بالتزام الهدوء.

نادى الملك على ابنه:

- بادورو.... فلتقف، وتعلن أمام الناس، من هى أمك؟

اتجه الأمير بادورو بهدوء شديد نحو " داوندى"، دون أدنى تردد.

صاحت " كوراندى" غاضبة:

- ابنى مجنون! لابد أن أحدًا سحره وجعل مصيره سيئًا!

اقترب الأمير من أمه داوندى، وضع رأسه على حجرها صائحًا:

- أمى... أمى العزيزة.... احكى لى حكاية..

ردت "داوندى":

- ابنى... ابنى الحبيب.... ليس لدى الآن حكاية مثيرة لأحكيها لك.

قال الأمير:

- على أية حال... أنا لدى حدوتة... منذ عشر سنوات، بَدلَت السيدات المسنات المهيبات للبلاط الملكى الولد بالبنت، وضعن البنت الصغيرة للأم التى جلبت الولد، ووضعن الولد للأم التى جلبت البنت، ليدخلن السرور إلى قلب الملك بأن يجعلوه يصدق أن الزوجة التى يفضلها ويتمناها سرًا، هى التى جلبت له الوريث.

تسمر الناس فى أماكنهم، كما لو كانوا قد تحولوا إلى حجارة، حتى أصبح من السهل سماع صوت ذبابة تطير.

أخذ الملك الكلمة:

- من هن الساحرات اللاتى أقدمن على تلك الفكرة الصائبة؟ فليتقدمن، لن تكون هناك مكافأة إلا إذا تقدمن...

وأمام تلك الكلمات المشجعة، تقدمت السيدات المسنات المهيبات بوجوههن المجعدة من بين جموع الناس ليقفن أمام الملك.

قالت أكبرهن سنا:

– أيها الملك....حجتنا الوحيدة والفريدة، هى أننا كنا نريدك سعيدًا. إننا كنا أكثر النساء إخلاصًا لك، لذلك فكرنا فى تبديل الأطفال، لنجعلك سعيدًا مع الزوجة التى تفضلها " كوراندى" والتى كنت تتمنى أن تهبك الوريث.

حدثت ثرثرة كبيرة وسط جلبة الناس بعد سماع تلك الاعترافات.

تأمل الملك طويلاً....ردود الأفعال التى اجتاحت رعيته، والنقمة التى ظهرت على وجوههم بعد سماع تلك الكلمات.

٧ـ الحكم

قال الملك للساحرات المسنات:

– لكى تجعلننى سعيدًا، تجرأتن على تفريق أم وابنها، وأسهمتن بشكل مجرد من العدالة فى جعل تلك المسكينة تعانى من فعلتكن. إنكن غير جديرات بالثقة، ولا تصلحن أمهات مهيبات للبلاط الملكى، بعد أن ابتكرتن تلك الحيلة الغبية فى قصرى... لابد من عقابكن".

توقف الملك عن الحديث مرتعشًا بالغضب، وحين استعاد هدوءه، توجه إلى " داوندى"، محدثًا إياها بتلك الكلمات:

- " داوندى"... انتِ أيتها الضحية لتلك المكيدة، أنت التى وهبتنى فى الواقع الوريث، ما الذى تريدين أن أفعلــه بتلــك النــساء الشريرات؟

ردت داوندى التى أضحت ملكة:

- أن تبعدهن عن القصر، لا أرغب فى رؤيتهن هنــا، أمنيتـــى الوحيدة، أن ترد لى ابنى الأمير " بادورو".

نظر بادورو إلى أمه، قائلا بحنان:

- لن تعانى أم ولى العهد أبدًا فى " خاسو".

أخذت " داوندى" وضعها وحقوقها باعتبارها ملكة وأمًا لولى العهد، وأصبحت سعيدة بقية أيامها، ونعمت بالثروة والاهتمام من جانب زوجها الملك.

جامبا سيرا

١ـ جامبا سيرا

الظلام يمتد فوق القرية الناعسة... الليـل يهـبط بطيئًـا علـى "كاكولو" الضيعة الصغيرة فى خاسو.

أشجار جوز الهند ترمى بظلالها على حقول القصب.

السكون يستقر تدريجيًا مع حلول المساء وأرواح الأسلاف تبـدأ بالطواف حول المنازل.

حان وقت السهر وسرد الحكايات حول النار.

– احكى لنا حدوتة..

قالت الصغيرة "دالندى" صاحبة الصوت الرفيع كالزمارة.

ويحاول الأطفال جذب الجدة التى تجلس على عتبة كوخها لـسرد الحواديت، فيرددون على مسامعها:

" لقد كنا هادئين وقت العصارى".

وتتساءل الجدة وهى تتوجه بعينيها إلى السماء:

– هل الليلة مظلمة أو مليئة بالنجوم؟

وتخفض رأسها مرددة:

– إنها ليلة مظلمة... لذا سوف أحكى لكم حكاية جريئة!

جلست العجوز على حصيرة مفرودة علـــى الأرض، يحوطهـــا الأطفال، أما الأصغر سنًا فكانوا يقفزون على ركبتيها.

أشعلت النار، قلبت جمراتها طويلاً فى الموقد حتى زاد سعيرها، ثم دسَّت بمهارة وخفة جمرة وضعتها داخل غليونها الذى نظفته بعنايـــة وملأته بأوراق التبغ، ثم شدت أنفاسًا قصيرة متلاحقة لتنعم بتدخين جيد.

وبعد انتهائها... رددت على مسامع الأطفال:

– الآن... أحكى لكم حكاية.

ردد الأطفال فى إيقاع جماعى:

– المهم أن تكون مثيرة!

وشرعت الجدة تحكى:

منذ زمن قديم، على ضفاف نهر "بنكاميه" الذى يعبر "كينيا" إلـــى "مالى"، عاشت فتاة صغيرة، اسمها "جامبا سيرا"، وكانت منذ مجيئها إلى الدنيا جميلة كسطوع الشمس.

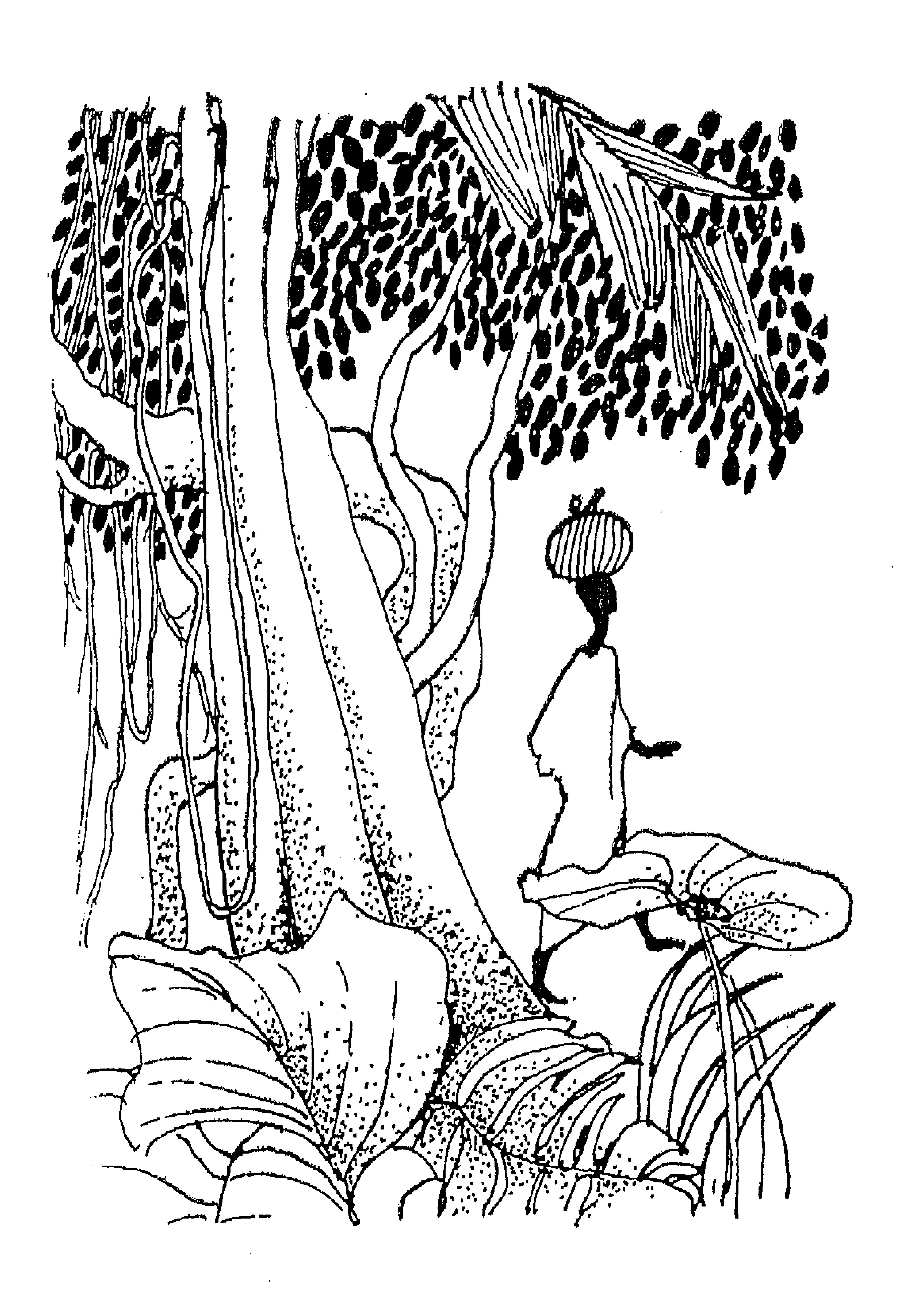
أما بالنسبة إلى أمها، فالوضع مختلف، إذ أنها لم تكن جميلة مثـــل ابنتها، وكان مصيرها سيئًا، لذا...فقد خافت على ابنتها أن يصبح حظهـــا

سيئًا مثلها... لذا... فقد شدت رحالها ذات صباح باكر مع صياح الديكة، وشاهدها أهل القرية ترحل وفوق رأسها بقجة محملة بأشيائها.

وبعد أيام عديدة من السير لمسافات عبـر الغابـات وحـشائش السافانا، رأت فى طريقها أشجار الباقوق(*) العملاقة لقرية "تومورا" التى يعيش فيها كبار الكهنة السحرة فى خاسو.

ومخافة من العين الشريرة والألسنة الرديئـة، توقفـت وجلـست تحت شجرة تمر، لتدخل إلى القرية مع حلول الليل.

(*) أشجار الباقوق: شجر كبير من الفصيلة الخبازية [المترجمة].



وحين أتاها صوت ضبع من بعيد، وقفت منتفضة واتجهت مباشرة وسريعًا نحو منزل كبير السحرة " تاكودى".

وعلى أية حال، استقبلها هذا الساحر كما يفعل مع أمراء خاسو ودعاها للنزول ضيفة عنده.

وعندما استمع إلى شكواها لتحرير ابنتها من سوء الحظ، أتى بجمجمة فيل تزن نصف دستة من قرون الجاموس وكانت رمزًا للقدرة والقوة.

وطلب الساحر " تاكودى" من ضيفته أن تلقى بنذورها فى التوّ إلى الجمجمة واستجابت المرأة لعطاء النذور وجلست متمتمة.

رفع الساحر الجمجمة، قربها من أذنه ليستمع إلى أصوات الأرواح الصادرة منها.

وبعد لحظة ارتعش جسده و أطلق صراخًا مدويا.

خافت أم "جامبا سيرا" وابتعدت عن الساحر بحذر على أمل خروجه من حالته المقلقة.

وبعد أن استعاد الساحر الكبير" تاكودى" هدوءه، أشار للمرأة بالاقتراب منه، ناصحًا إياها، أن تعطى ابنتها تعويذة تلفها على خصرها لمواجهة قدرها الشرير.

ولكن للأسف.... لم تكن أم "جامبا سيرا" تعرف أى مصير مؤلم ينتظر ابنتها فى المستقبل، فقد ماتت بمرض غامض بعد زمن قليل من

مقابلة الساحر، تاركة ابنتها جامبا سيرا فى رعاية أبيها الذى أحاطها بحنانه، ولكنه تزوج بعد ذلك من امرأة.كانت تكره "جامبا سيرا". ولم تكن لزوجة أبيها أمنية فى حياتها إلا التخلص من تلك البنت الصغيرة التى تنال حبًّا مفرطًا من أبيها.

وحاولت المرأة أكثر من مرة أذية "جامبا سيرا"، لكن البنت الصغيرة كانت تخرج بسلام من المأزق التى تضعها فيها زوجة أبيها، حتى أصاب المرأة الشريرة اليأس من إلحاق الخطر بالبنت، إلى أن جاءتها فرصة اقتنصتها لصالحها.

٢ـ القربان

ذات نهار...هبت رياح محدثة صفيرًا هائلاً وكنست فى طريقها الأوراق الميتة المتساقطة من الأشجار.

ودع الموسم الجاف الأزهار بعد أن جفت البرك ونضبت المياه فى الآبار.

وفى كل صباح.... كانت زوجة الأب "أولاماتيه" تذهب إلى النهر حاملة جرتها لتملأها من المياه الراكدة التى أضحت صفراء بلون الكنارى لتغتسل على ضفته.

وفى يوم من الأيام... فى اللحظة التى أمالت فيها "أولاماتيه" جرتها وقربت فتحتها من ماء النهر، تطاير جذع شجرة بفعل تيار هواء وسقط فجأة فى النهر... بعدها بلحظات قفزت كتلة ضخمة،

فمها كبير مفتوح، وتوجهت إلى المرأة لتبتلعها... وكانت تلك الكتلـــة الضخمة الساحر "قطاما" سيد المياه.

ارتعبت "أولاماتيه" و فرّت مذعورة، لكن بعد لحظـــات تـــردد، تمالكت نفسها وتوجهت إلى الحيوان الضخم تحدثه:

- "ما الذى سوف تفعله بهيكل عظمى لامرأة مسنة مثلى؟ إنك لا ترغب إلا فى شخصية شهية مثيرة، بإمكانى إهداؤها لـــك... فتاة مراهقة فى الخامسة عشر من عمرها.

أغلق التمساح فمه المفتوح ببطء...

نظر إلى المرأة مزمجرًا ومهددًا:

- متى وكيف؟

أيقنت المرأة الشريرة أن الوحش اســتجاب لعرضـــها... لـــذا أكملت كلامها:

- هذا المساء... ستقام حفلة الحصاد وســوف تقـــرع الطبـــول ويرقص الشباب والشابات حتى الفجر، والفتاة التـــى أحـــدثك عنها "جامبا سيرا"، ستكون هنـــاك، ســـوف أدهـــن مقعـــدها بالصمغ لتلتصق مكانها، وفى توقيت متأخر من الليـــل حـــين تشتد البرودة وتنتصف دورة القمر، تتجه أنـــت إلـــى مكـــان الحفل سوف تجد الفتاة الشابة فى انتظارك هناك، ملتصقة فى مقعدها، شهية، مثيرة كما وعدتك.

رد التمساح:

– إذا كنتِ تلعبين معى أو تراودك حيلة ما سوف تكــونين أنــتِ الفريسة فى المرة القادمة... سوف نرى.

قالت المرأة الشريرة:

– اطمئن يا صديقى.... إننى أعرف ماذا أفعل، "جاميــا ســيرا" ستكون لك الليلة.

ابتعدت "أولاماتيه" عن النهر، نشيطة، مرحة، ســعيدة بفكــرة التخلص أخيرا من "جامبا سيرا".

٣ـ الطنطنة

لحقت "أولاماتيه" بزوجها "سيديكى" بعد العــشاء، وقــد كــان ناعسًا فى سريره المعلق فى الحديقة تحت شرفة منزله.

جلست بجواره على الأرض، تقشر ثمار فستق، وتأكل حباتها، وحين سمعت الطبل يدق ثلاث دقات إيذانًا بالحفل، نادت على "جامبا سيرا" لتدعوها للذهاب وأشرفت بنفسها على تزيينها.

فتحت "أولاماتيه" الصندوق العائلى للثيــاب واختــارت لـــ "جامبا سيرا"رداء أزرق سماويًا، كان زوجها قد أهداه لها. وأعطتهــا أيضًا حذاء ذهبيًا لتجعلها أكثر فتنة ورونقًا، ولفت حول خصرها ستة صفوف من اللؤلؤ المعطر برائحة البخور، وأضحت. " جامبا سيرا". مثل ملكة فى ثيابها الجديدة.

كان "سيديكى"... يتابع من سريره المعلق مشهد التجميل فرحًا بتحسن العلاقة بين امرأته "أولامائيه" وابنته "جامبا سيرا".

لم يتأخر "حميدو" صديق "جامبا سيرا" فى الحضور إليهـا... شاب قوى، جميل، يتزين برداء جوخ جميل، وكان "حميـدو" يكبـر الفتاة بعام، ربطت الصداقة بينهما منذ عدة أشهر ومن وقتهـا وهمـا لايفترقان.

وعند وصولهما إلى مكان الحفل، وجداه زاخرًا بالناس، تملؤه صيحات الفرح، والشباب و الشابات يتنافسون فى البهاء، خـصلات الشعر الملفوفة تشع ضياءً على الوجوه، وكم كانت النساء جمـيلات بحيث لا يعتقد أحد أن هناك قبحًا فى خاسو.

أضاف الشعراء السحرة حيوية فى المكان كعفاريت ظرفـاء، بينما كان ضاربو الطبول، يدقون ويطنطنون بكل عزمهم "تم...تـم"، تيمنًا بالنهر "بنكاميه"، وقـد بـدأت دورة القمـر فـى الانتـصاف، واستمرت الطبول تدق أكثر فأكثر و التصفيق يعلـو ويطرقـع فـى الهواء بإيقاع جنونى. وعلت التعليقات وصيحات الفـرح لدرجـة أن أحدًا لم يعد يسمع الآخر، كأنما أصـابهم الـصمم، وظـل الـشباب والشابات يرقصون كما لم يرقصوا من قبل.

وكالعادة... فى تلك الحفلات، كانت أرواح الأسـلاف تحـوم وتطوف كأشكال آدمية لتمتزج مع المحتفلين فى هذا الجو المرح.

رفع الساحر التمساح "قطاما" رأسه خارج الماء وتحديدًا فـى هذا الوقت من الليل، صرخ صائحًا:

– "جامبا سيرا".... "جامبا سيرا"... "جامبا سيرا"



عمّ سكون مرعب بعد هذا النداء.

زمجر الصوت بقوة مكررا النداء:

– "جامبا سيرا"... "جامبا سيرا"... "جامبا سيرا"

تفرق الجميع وجرى أغلب الناس تاركين الحفل، ليدخلوا منازلهم سريعًا، مغلقين أبوابهم عليهم.

٤ـ أصدقاء غير صالحين

حاولت "جامبا سيرا" النهوض كي تهرب بدورها، لكنها اكتشفت مذهولة أنها ملتصقة بمقعدها وليس بإمكانها التحرك إلى أى مكان.

بكت محدثة نفسها:

" من ذا الذى وضعنى فى هذا الموقف؟ هل تلبستنى روح من الأسلاف؟ أتكون روح أمى التي أصابها القدر بالشر قد ألحقت بى أعداء مجهولين وألقت بى إلى هذا المصير؟" وظلت تبكى وتبكى أكثر فأكثر... والتمساح يعاود نداءه:

– "جامبا سيرا"، "جامبا سيرا"، "جامبا سيرا".

وما بين الشهيق والزفير المتلاحقين، رفعت "جامبا سيرا" رأسها لتلاحظ الفراغ الكبير حولها، فأصدقاؤها الذين كانوا باقين لحمايتها قد اختفوا الواحد تلو الآخر بأعذار متنوعة، ولم يبق إلا "حميدو" واثنين من الأصدقاء الحميمين.

الصراخ الكئيب يمزق السكون من جديد:

" جامبا سيرا... جامبا سيرا... جامبا سيرا".

اهتزت الأرض وارتعدت الأشجار، بينما وحش الماء يقــضى على كل ما يراه أمامه.

فر الصديقان اللذان كانا باقيين، فــرا فــزعين أمــام صــياح الوحش، اختفيا فى عتمة الليل كى لا يعودا أبدًا... ولــم يبــق مــع "جامبا سيرا" إلا "حميدو".

أما أبوها "سديكى"، فقد كان ساهرًا فى كوخه منتظــرًا عــودة ابنته، وحين سمع النداء المرعب للتمساح، خاف عليها، فقفز من على فراشه، أمسك بندقيته متوجهًا بسرعة نحو باب الخروج.

تحفزت زوجته "أولاماتيه"، صائحة وهى تضع يديها فوق مؤخرتها:

- لن تترك هذا البيت أبدًا، لا أريد أن أفقدك.

- لكن ابنتى فى خطر ولابد أن أرحل.

- سوف أترك لك المنزل للأبد... عليك أن تختار بينــى وبــين ابنتك!

تردد " سديكى" لحظات، صمت بعدها خوفًا من فقد امرأته.

امتعض وبقى مكشر الوجه وعلى مضض فى البيت، مبــتهلاً إلى السماء ألا يقع ضرر لابنته " جامبا سيرا".

٥ـ الصديق

أصبح الظلام شاملاً فى تلك البقعة من القرية.

ارتعدت المسكينة "جامبا سيرا"، بكت وتأوه كل جزء فى جسدها ولم يزل الصوت الرهيب للوحش يقترب مناديًا:

- "جامبا سيرا"... "جامبا سيرا... "جامبا سيرا".

شمر "حميدو" أكمام ردائه مستعدًا لمواجهة الوحش، أطلق الشاب الشجاع الجرىء صرخة قوية، شقت سكون الليل واستفزت خصمه للقتال.

صاح الشاب:

"ها نحن الاثنان هنا، يا مخلوق الظلام، أنا لست خائفًا منك، اقترب وسوف ترى بنفسك أننى محارب قوى أمامك، مثل المحاربين العظماء لبلدتنا "خاسو"... أمثال: "دوسو كيديالى بينكو"، و"مالكن ناردين دياتكو" و"سانديكو كاماديانكو".

لمعت عينا الوحش فى الظلام، زحفت الكتلة الضخمة نحو فريستها.

أما "جامبا سيرا" فتسمرت فى مكانها مرعوبة وغشيها الإغماء.

رفع "حميدو" صخرة ضخمة، ألقاهـا علـى رأس الحيـوان وأصابه فى منطقة حساسة من جمجمته.

زمجر الوحش منتفضًا بجسده، ورفس الشاب الصغير.

ابتعد "حميدو" عن الحيوان، جرى فى الاتجاه المـضاد حتـى يبعده عن "جامبا سيرا"، تسلق واحدة من أشجار "الباقوق" العملاقـة، ومن مخبئه، رصد التوقيت الملائم حتى لا يخطئ فى رشق جـسد التمساح بخنجره.

وحين اقترب التمساح منه تمامًا تحت فـرع الـشجرة التـى اعتلاها، غرز الشاب حميدو خنجره فى رأس الحيوان.

تململ التمساح وخبط الشجرة، مما دفع ببطلنا الشجاع بعيـدًا عشرة أمتار.

نهض "حميدو" سريعًا، ومن جديد، رفع صـخرة ودار حـول الحيوان وعند جمجمته تحديدًا، أسقط الصخرة فوق رأسـه كالقذيفـة المحكمة التصويب.

رفع "حميدو" الصخرة مرة أخرى، وللمرة الثالثة أعاد رميهـا فوق رأس التمساح الذى أطلق فى هذه المرة صراخًا مروعًا، وظـل يزحف داميًا كما لو كانت تلك الكتلة الضخمة تحرث الأرض بجـسد الوحش. وظل جسده يتخبط هكذا على الأرض بفوضى لفترة حتـى همدت أنفاسه وتوقف تمامًا عن الحركة.



أما "حميدو" الشجاع، فقد جفف عرقه الذى كان يتساقط منه كحبات لؤلؤ كبيرة وذهب إلى "جامبا سيرا" ليعلن لها:

"لقد كان هذا الوحش تمساحًا، ولا أعرف لماذا اختارك أنتِ بالذات. ولكن من الآن فصاعدًا، لن يسبب لكَ آلاما، فقد قتلته".

نظرت له "جامبا سيرا" بإعجاب وتقدير وامتنان عميق.

اقترب "حميدو" من التمساح، شقَ بطنه بسكين، ويا للمفاجأة الساحرة، كانت أحشاؤه ممتلئة بالذهب والماس. وأهدى "حميدو" هذه الثروة بكاملها إلى محبوبته "جامبا سيرا".

٦ـ العقاب

سلك الشابان "حميدو" و "جامبا سيرا" سيرهما وتقدما هادئين بأقدام مغروزة فى الرمال المبللة.

لمحا عتبة الدار وتقابلا وجهًا لوجه مع زوجة الأب التى كانت قد جرت خارج الدار لترى ما الذى حدث للابنة الشابة، ولتتأكد بنفسها وتستمتع بنصرها فى التخلص منها.

وعندما رأت "جامبا سيرا" حية أمامها، مغطاة بالذهب والماس، أصابها الذهول. وسقطت الشريرة "أولاماتيه" مصدومة على الأرض فاقدة النطق، وكسرت جرتها وتناثرت مئة قطعة.

أما زوجها "سديكى"، فقد خرج من كوخه على صوت سقوط الجرة، وحين رأى امرأته فاقدة الحياة، تقدم نحوها وسقط هو الآخر بجوارها صارخًا ومات بدوره.

بكت "جامبا سيرا" أباها، لكن "حميدو" قال لها:

"تعالى.... سوف أصحبك إلى "مالى" عند عمك لأمك، تسكنين عندهم هناك حتى آتى وأطلبك للزواج.

توقفت الجدة عن الحكى، نظرت حولها متنفسة بعمق، ربطت وشاحها الحريرى الذى سقط منها، وأخذت جمرة جديدة من النار لإشعال غليونها الذى انطفأ منذ فترة طويلة.

أما الأطفال، فقد كانوا نافدى الصبر، ويريدون معرفة بقية الحكاية.

قالت الطفلة " دالندى":

– أهذه هى النهاية؟

ردت الجدة وهى تشد نفسًا من غليونها

– لا.... فقد ترك "حميدو" لـ "جامبا سيرا" الوقت اللازم لإعداد نفسها وتهيئتها للزواج، ثم تزوجها فى "مالى"، هناك عند حدود "خاسو"، ورزقا بأطفال غاية فى الجمال وعاشا فى سعادة زمنًا طويلاً.

المؤلفة فى سطور

ـ مارى روز جومى سوكهو كوناتيه:

كاتبة من السنغال

تكتب للأطفال قصصًا متنوعة ومتميزة، تجمع بـين الأسـاطير والسحر والتراث الأفريقى المتعدد اللهجات.

صدر لها على سبيل المثال لا الحصر:

الأمير بادورو.

اللؤلؤة النادرة.

جامبا سيرا.

تدرس كتبها فى المدارس فى المرحلة الأساسية لاحتوائها علـى رؤية تعليمية وتربوية تفيد النشء.

المترجمة فى سطور

- ابتهال سالم:

روائية ومترجمة.

عضو فى اتحاد الكتاب المصرى.

عضو فى نادى القلم الدولى.

متعاملة مع الإذاعة المصرية باعتبارها مؤلفة ومترجمة.

ترجمت عدة كتب للأطفال والصبية، نذكر منها:

"انطلق": مختارات من الشعر الفرنسى المترجم للأطفال، صادرة عن المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٥.

"بندقة": مجموعة قصصية مترجمة، صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

. حواديت شعبية من بلاد مختلفة، صادرة عن الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩.

كما لها عدة مؤلفات أيضا للأطفال، نذكر منها:

المقص العجيب: مجموعة قصصية، كتاب قطر النـدى، الهيئـة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧.

سر القطة الغامضة: دار الهلال، ٢٠٠١.

الكمبيوتر الحزين: كتاب العربى الصغير، ٢٠٠٤.

عصفور أنا: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

التصحيح اللغوى: أمل عبد الفتاح

الإشـــراف الفنى: حســـن كامـــل



هذه المجموعة مليئة بالإشارات الدالة على الثقافات الشعبية لبعض الشعوب الأفريقية، والتى تساعد الطفل على معرفة بعض المعلومات عن هذه الثقافات، والإحساس بالمعانى المنعكسة فى أحداث القصص، مما يمنحه فكرة عن روح هذه الأساطير المنغرسة فى التربة السوداء لقارتنا. كما يتجلى فيها تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأفريقيا على اللغة المتفردة لثقافة القارة السوداء.